إلغاء الهوية المحلية في الرّواية:

إنَّ الهوية المحلية هي عبارة عن خزين معرفي يستمد مرجعياته من بناءات فكرية تمتد جذورها إلى آلاف السّنين وهي وريثة للمعتقدات وترتبط بالتّاريخ إرتباطاً مباشراً. إذ من الممكن البحث في إشكالية ذوبان الذّاتيات الشّخصية والثّقافية في الآداب بشكل عام حتى أصبحت الآداب عبارة عن مؤشر عام قد يبتعد عن تحديد القيم الثّقافية للمنجزات الحضارية المحلية، أو يتم التّمسك بالهوية وعدم الإنفتاح على الآخر. ومن ثمَّ يكون دليلاً على الحضارة الإنسانية بشكل عام أو التّأثر بالأدب الغربي الخالصّ.

إنَّ تطورات تكنولوجيا الإعلام الحديثة والتّي كسرت حواجز العزلة واخترقت الحدود القومية، أسهمت في إرساء قواعد العولمة ونشر معاييرها التي تبغي من خلالها إلغاء الهوية المحلية والتّفرد والتّوجه نحو التّنوع والاندماج غير المتعلق بالحيز المكاني. هذا التّوجه لم يشمل المستويات السّياسية والاجتماعية فقط؛ بل أضفى بتأثيراته على الثّقافة والآداب أيضاً. إذ يرى بعض المنظرين "**أنَّ التّنوع هو الخصيصة العادية للفنون والآداب، ويسمون ذلك بالهجنة. ليس هناك ثقافة محكمة الإغلاق على نفسها لا تتسرب إليها مؤثرات أخرى، كما لا توجد ثقافة محصورة في حدودها المحلية، ولذلك إنّ الآداب تختلط وتمتزج في كل أنحاء العالم**"[١]. ويتجلى ذلك التّأثير في الوعي الجمعي نحو صياغات تجسد النّزعة العالمية على حساب اندثار الهويات المحلية. وهذا الاختراق الثّقافي يؤسس إلى فكرة القطب الأوحد المتمثل بالدّول العظمى والمؤسسات الكبرى التي تملي توجهاتها وأنساق ثقافاتها على الأقليات والدّول الأضعف بفعل محفزات وأنشطة تعززها قوى تكنولوجيا الاتصال والهيمنة. وبالمقابل أسهمت العولمة في فتح المجال للرّوائي



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

١- جووست سمايرز، الفنون والادب تحت ضغط العولمة، تر: طلعت الشّايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م: ٢١٣.

بقطع الصّلة بجذوره الثّقافية والتّشجيع على الهجرة وانفصاله عن مرجعياته. ومن ثمَّ الإنسياق خلف السّياقات العالمية وعدم التّقيد بالمعنى الخاص والمحلي للأدب وتشجيع كل ما هو مختلف وغير مألوف، بغض النّظر عن هوية وتاريخ الرّوائي وانتمائه.

ففي رواية (أقتفي أثري) لـــ(حميد العقابي) تقول : المنفى روح وليس مكانا " **لم يكن الوطن بالنّسبة لي يوما، أرضا أو ناسا، بل فكرة، وها أنا أعتبر أن هذه الفكرة استنفدت مدلولها... وكي لا تموت فأنا سأحاول إعادة تركيب عناصرها في الرّوح لتبقى حية، تتنفس وتنمو حسب مشيئتي**"[٢].

لذلك فلا غضاضة أن تتماهى هذه الفكرة، التي هي الوطن مع المنفى وتتركز هذه الفكرة في نص روائي اخر كما يقول: " **أي وطن هذا ! " قال الشيخ محني الظهر. ..**

" أي وطن هذا ! قال علي كارثة وأضاف : " ليله ذئاب، ونهاره جهنم.

أي وطن هذا ! قال صالح الأعرج، ملتفتا إلي وأضاف : أتذكر حينما خرجنا منه، كدنا نموت مطمورين بثلجه، وها نحن نعود إليه وقد تطمرنا رماله وتقتلنا شمسه. أي وطن هذا ! قلت وأضفت صمتا إلى صمتي أي وطن هذا!"[٣].

والرّواية تحكي قصة مجموعة من الذين أبعدهم النّظام الدّكتاتوري، ينتظمون في رحلة العودة إلى الوطن مشياً على الأقدام، بعد سقوط التّمثال مباشرة. وبين رحلة المنفى ورحلة العودة يتوزع السّرد، تناوبا أو تداخلاً أو توازياً بين الأحداث، اذ ينتقل السّارد، بطل



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

٢– حميد العقابي: أقتفي أثري، طوى للثّقافة والنّشر والإعلام، لندن، ٢٠٠٩ : ٧١.

٣ – م. ن : ٢٦ – ٢٧.

الرّواية حميد العقابي، بين وقائع العودة بلياليها القليلة الباردة وأخطار الطّريق، وبين ذكريات المنفى قبل عشرين سنة، وما انطوت عليه من مشاهد وأهوال، تجلت في الاعتقال والتحقيق والسّجن والهرب والغربة والتّشرد والجوع والتّسكع على أرصفة المدن.

وينتقل السّارد الذي يحمل اسم الكاتب ويمارس هوايته في كتابة الشّعر بين مجموعة من الثّنائيات المتضادة، طيلة الرّواية : الماضي والحاضر، الذّكريات والوقائع، الهروب والعودة، المنفى والوطن، الواقع والمتخيل، حتى إذا ما أشرفت القافلة على الوصول إلى أرض الوطن، تضيق المسافة بين المتضادات، ويتماهى الوطن مع المنفى وتستوي العودة والخروج. فيقول: "**أي وطن هذا...! نفر منه واليه مذعورين، نمضي خلف ظلاله مختبئين، كلنا نصطدم بجداره في كل منعطف وزقاق، وأينما نحل نجده، وأينما نمضي نره، نحن الواقفين نراه يعدو خلفنا. .. وكلما توهمنا التحرر من الحنين إليه نصطدم به...**"[٤].

ثمَّ يعمد السّارد إلى استطراد تاريخي، لكي يتمادى في ابتعاده عن الوطن، "**أي وطن هذا ؟ ذهبه غواية، ماؤه تاريخ من الدماء والحبر. سر على ضفاف أنهاره، لن تجد عاشقين أو متأملين، شروقا أو غروبا، بل نساء يقدمن النذور (للخضر) كي يرجع أبناءهن الغائبين، أو امرأة تقدم العشاء للماء مصغية لأنين ولدها الغريق. أشجاره المغبرة ونخيله المحترق، لا تسمع بين عذوقه شدو فاختة، ليس سوى نائحات فقدن أحبتهن في الحروب، آبار نفطه التي توقد في صحاري الروح نارا اهتدى بضوئها البدو المرابون وعاهرات يخبئن واردات موتنا في قوارير عطورهن، سيدهن يراود حزننا عن نفسه، فيطيع منقادا ليولد أمنا طفلا يكون هراوة في كفه، أو طفلة ضفائرها حبال مشانق.**



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

٤ – حميد العقابي: أقتفي أثري: ٢٧.

نهرب منه، فيهرب خلفنا كي يطاردنا، لم يأت إلينا – مرة واحدة – كي يسامرنا أو يواسينا ويعظم أجرنا. . كلنا ثكل الأحبة. . أي وطن هذا ! "[٥].

لكن في الثّنائية المقابلة لجحود الوطن، تتحدث الرّواية على لسان بطلها، عن ثقل أيام المنفى ومرارة انتظار أخبار الوطن : "... **ولكنني أبقى عند النافذة منتظرا قدوم ساعي البريد، واقفا مثل تمثال شمع يلوذ بالجليد، الثلج يهطل، الأشجار عارية، الشوارع فارغة، والوحدة تعوي في الرأس، والهواجس بنات آوى يغرزن أنيابهن في خشب الباب..** "[٦]. ويحتد الحنين والشّوق إلى الوطن والهوية المحلية بعد إلغائها، فيتحول إلى بكاء كما يقول: " **وجدته منزويا يبكي، وحينما سألته عن سبب بكائه، يلقي اللوم على الغربة، والسّلطة الطّاغية وأحزاب المعارضة المهترئة، فأرى العثة تنزل من قمة رأسه حتى قدميه، راسمة خريطة نخرها على هذا الجسم الضخم، وأتيقن من صدقه ومن تواضع أمنيته التي تدفعه لأن يتخلى عن كرامته وإنسانيته، ليتحول إلى حصان هرم أو ثور ميت على تبن زريبة أو اصطبل**"[٧].

لكن المشهد سرعان ما يتغير في ثنائية أخرى، فأسأله (الضّمير يعود إلى السّارد): "**وأنت ألا ترغب في العودة إلى ديرة هلك ؟. .. كي تموت على التبن " مذكرا ببيت الشعر الذي طالما ردده أمامي :**

تكضن وارد يا ديرتي لحسنج واموتن عالتبن، فأجاب بخجل : وليش أموت عالتبن ؟



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

٥- م. ن : ٢٨.

٦- م. ن : ٩.

٧ - حميد العقابي: أقتفي أثري: ٧٩.

أليست رغبتك التي أكلت رأسي بها ؟

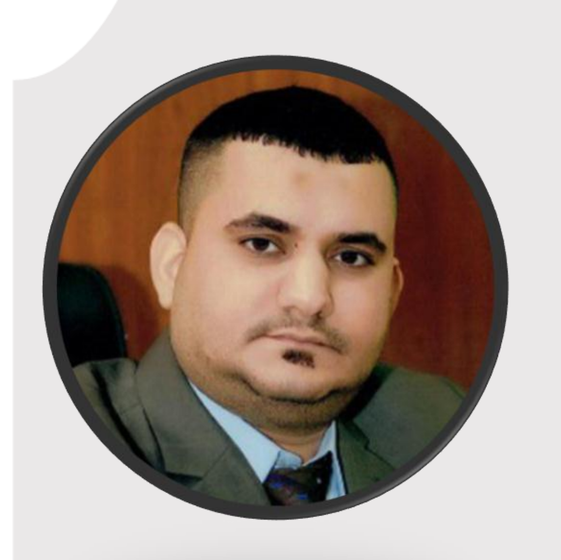
كانت قبل عشرين عاما، أما الآن. . كل شيء تغير.. . صمت قليلا ثم انتفض واقفا : نعم كل شيء تغير، فإلى أين أرجع. .. هه ؟ إلى أين أرجع ؟ إلى صريفة أهلي في مدينة الثورة أو الى الجوادر. ..هه ؟ الى زيارة القبور والذكريات المؤلمة ؟ إلى برك مياه المجاري وتلال الأزبال. ..هه ؟ ماذا سوف أعمل ؟ أعود إلى رعي الجواميس..هه ؟ إلى صراخ الصبية خلفي : عبد أسود، أبو خشم الأفنص..؟"[٨].

فإذا كان المثقف في مرحلة السياب، وحتى الجواهري، يعاني من الهجرة والاغتراب، فان محنة المثقف اليوم، هي أنه أضاع نقطة الحنين، فلا مرسى هناك إن كل ميناء سراب، وكل ضفة وهم. فهناك وجع المنفى إزاء محنة الهوية، ووجع الهوية إزاء محنة الذات، أو بتعبير الشّاعرة ورود الموسوي في قصيدتها المسماة (عطش يبللها، وماء لايصل):

يغزو المنافي بحثاً عن هوية

وتغزوه الهوية بحثا عن ذات[٩].

هذه الأفكار التي تتماشى مع الحراك الثّقافي في زمن العولمة لا يمكن تعميمها فعلى الرّغم من هجرة الرّوائيين والتّأثر بأفكار الدّول الغربية، إلا أنَّ الكثير ظل مرتبطاً بجذوره التي استنبط منها أفكاراً جديدة تكون قد أسهمت في تميزه في مجال الأدب العالمي المعاصر. وهذا لا يعني انعزاله عن العالم والتّمسك بمعايير سابقة؛ لكن لكي يتم الإندماج والوصول، كان من الضّروري الإغتناء بعملية المبادلات الفكرية



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

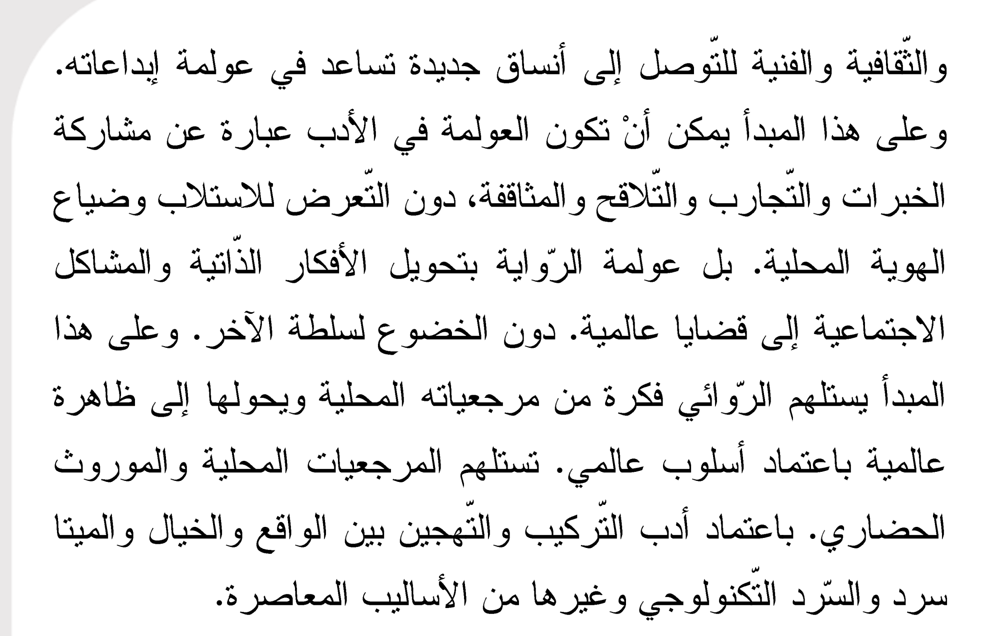
٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

٨- م. ن: ٧٢-٧٣.

٩ - عبد اللطيف حرز: المستحيل في الأدب العراقي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ٥٠.



والثّقافية والفنية للتّوصل إلى أنساق جديدة تساعد في عولمة إبداعاته. وعلى هذا المبدأ يمكن أنْ تكون العولمة في الأدب عبارة عن مشاركة الخبرات والتّجارب والتّلاقح والمثاقفة، دون التّعرض للاستلاب وضياع الهوية المحلية. بل عولمة الرّواية بتحويل الأفكار الذّاتية والمشاكل الاجتماعية إلى قضايا عالمية. دون الخضوع لسلطة الآخر. وعلى هذا المبدأ يستلهم الرّوائي فكرة من مرجعياته المحلية ويحولها إلى ظاهرة عالمية باعتماد أسلوب عالمي. تستلهم المرجعيات المحلية والموروث الحضاري. باعتماد أدب التّركيب والتّهجين بين الواقع والخيال والميتا سرد والسّرد التّكنولوجي وغيرها من الأساليب المعاصرة.

وعليه حاول الرّوائي إيجاد أفكار تعكس هويته بإبداع أشكال تقتضي التّنوع والتّداخل مع ثقافات متعددة. لتجسد أعمالاً أدبية ذات خطاب عالمي، يستهدف جمهوراً كونياً. وبهذا تكون الآداب تحت ضغط العولمة تمثيل لتقارب الشّعوب والثّقافات. ولا تخلو من التّأصيل أي العودة إلى الجذور وإعادة صياغة المرجعيات بآليات ورؤى عالمية منبثقة من التّراث المحلي وحاجات المجتمع "**للبحث والتّقصي لإيضاح معالم جمالية لم يتم ابتكارها، ولكن يُكشف النّقاب عنها**"[١٠]. ووفق ما تقدم يمكن القول إنَّ العولمة تروج من خلال برامجها إلى أفكار الهيمنة والتّفوق، فمن يمتلك زمام السّلطة يستطيع إيصال أفكار وإملاءات مضمرة. هذا هو هدف العولمة الأساس. وهذا يدل على فقدان الهوية المحلية والإستسلام لما يرفده الغرب من أفكار واستلاب للهويات.

كما تراجعت أهمية اسم الرّوائي مع العولمة، أمام هيمنة التّقنية والفكرة فلم تعد تعبيرات الرّوائي المجسدة على العمل، والتّي تضفي التّفرد والتّميز على اسم الرّوائي كافية، بل اقتضى منه أن يبحث عن كيفيات استقطاب جمهور التّلقي بإضفاء عناصر الإثارة والتّغريب



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

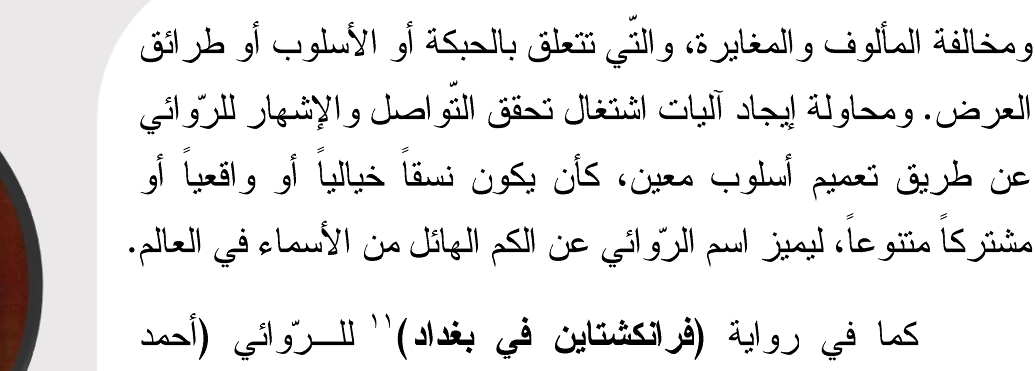
٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

١٠ – عفيف البهنسي، الهوية الثّقافية بين العالمية والعولمة، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م: ١٢٠.



ومخالفة المألوف والمغايرة، والتّي تتعلق بالحبكة أو الأسلوب أو طرائق العرض. ومحاولة إيجاد آليات اشتغال تحقق التّواصل والإشهار للرّوائي عن طريق تعميم أسلوب معين، كأن يكون نسقاً خيالياً أو واقعياً أو مشتركاً متنوعاً، ليميز اسم الرّوائي عن الكم الهائل من الأسماء في العالم.

كما في رواية **(فرانكشتاين في بغداد)**[١١] للـرّوائي (أحمد سعداوي) الذي يستدعي المرجع الواقعي والاسطوري ويضفي عليه عنصر الإثارة من خلال تجسيد الواقعية الفائقة والسّحر المشوق في أغلب الأحيان، بما مزجه من فرانكشتاين البغدادي وفرانكشتاين البريطاني لماري شيلي. ليجذب نظر المتلقي مختلف الثّقافات الباحث عن التّجديد.

وقد اشتملت الرّواية على مفصلٍ مدهش تدور أحداث الرّواية حوله، تنمّ عن خيال خصب، وقدرة خلاقة على توظيفه في شبكة أحداث مترابطة رمزية عميقة ومتحوّلة في إطارٍ سرديٍّ مبدِع أضافت إلى جمال الصنعة الأدبيّة نتفا من الجمل اللغوية الدراجة ولعلّ أبرزها كلمة (الشّسمه) التي أطلقت علماً لذلك المخلوق المستوحى من (فرانكشتاين) وهي كلمة منحوتة من عبارة: (الذي لا اسم له) والتي يستعملها العراقيّون بلهجتهم العاميّة، وشخصيّة فرانكشتاين في الأصل أسطورة جنح إليها خيال الكاتبة البريطانية (ماري شيلي) وقد وظّفها الكاتب لتكون عنصر الرّواية المدهش ومحورها، فالرّواية تؤرّخ لمرحلة عصيبة من تاريخ العراق، حيث دمار الانسان والأرض بما لم يسبق له نظير في تاريخ العراق، ولعلّي لستُ مبالغاً إن قلت إنّ السّياق التّاريخي والجغرافي الذي ظهر فيه فرانكشتاين بنسخته البغداديّة في هذه الرّواية كان موقعه منسجماً أكثر من موقعه في الرّواية الأصل، وبعده الفلسفي أعمق بكثير.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

١١ – أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

فشخصية فرانكشتاين أو (الشّسمه) شكّلت رمزية متحوّلة بين ثنائيّة الأمل والإحباط التي لم تزل تتوامض في العراق، وذلك من عدّة مسارات تراتبيّة، وقد كان المسار الرّمزي الأوّل لفرانكشتاين يجسّد رغبة العراقي في القضاء على كلّ ظالميه وقاتليه وسارقي وطنه منه، فالجذاذات البشرية المختلفة التي يتكوّن منها هي خليط متجانس من الرّغبة والطّموح في الحياة الكريمة من أشخاص غير متجانسين في أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأفكارهم.

نجد أنَّ فرانكشتاين البغدادي تجسيد رمزي للعراق أيضاً، العراق الممزّق، الذي بضّعته سكاكين المحاصصة وتركت في وجهه ندوباً وجراحات، ربّما إن استمرّت هذه الجراحات ستتحوّل حدوداً ستفقدُه هويّته ويصبح العراق بلد (الشّسمه)، وقد ضجّ لفرط استهتار أبنائه العاقّين وأعدائه المحتلّين ومرتزقتهم المتوحّشين، الذين لا مشروع لديهم في ربوعه إلا (انتاج) الضحايا.

والمسار الثّاني لرمزية فرانكشتاين البغدادي عندما جسّد فكرة المخلّص والمنقذ، الذي تتألّف روحه من آهات المعذّبين ونواح المستضعفين الذي يملئ الأجواء نادباً للثّأر ممّن قتلهم ظلماً وعدواناً، وأيتم أطفالهم وأرمل زوجاتهم وأثكل أباءهم، وهذه الرّمزيّة هي ما تفسّر ميول القارئ وتمنيّاته لنجاح جهود فرانكشتاين[١٢].

وتسهم هذه الآليات في ترسيخ اسم الرّوائي، ليس وفق خصوصيات التّفرد الذّاتي؛ بل بمواصفات التّعميم الكوني القادر على التّأثير المباشر وتفعيل القدرة التّواصلية بين العمل والمتلقي. والذّي يحيل إلى حوار مباشر مع الذّهن ويسهم في ترسيخه في ذهنية جمهور التّلقي وإيصال أسلوب روائي مختلف لإنتاج خطاب كلّي تضميني، دون الرّجوع إلى غايات الرّوائي الشّخصية.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com

---

١٢ – ينظر: أحمد سعداوي: فرانكشتاين في بغداد، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

وإزاء ذلك تكون مهمة الرّوائي الكشف عن أفكار جمالية جديدة، بسياقات تهتم بالعلاقة بين العمل الأدبي، وإمكانية تداخله مع المجالات المعرفية المختلفة وتواصله مع الثّقافات المغايرة. وفق شروط الخطاب الكلّي الذي يقوم بدور أساس في تشييد أدب عالمي بوصفه جزءاً مهماً من المنظومة الثّقافية.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

jumaajaafer@gmail.com